[رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر][1]

ثم إن الشيخ - رحمه الله - بعد وقعة جبل كسروان - أرسل رسالة إلى «السلطان الملك الناصر» ، يذكر فيها ما أنعم الله / على السلطان وعلى أهل الإسلام ، بسبب فتوح الجبل المذكور ، وهي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الداعي أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين ، ومن أيد الله في دولته الدين، [و][2] أعز بها عباده المؤمنين ، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين ، نصره الله ونصر به الإسلام ، وأصلح له وبه أمور الخاص والعام، وأحيى به معالم الإيمان ، وأقام به شرائع القرآن ، وأذل به أهل الكفر والفسوق والعصيان .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير . ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين ، وإمام المتقين محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا .

أما بعد : فقد صدق الله وعده ، ونصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأنعم الله على السلطان ، وعلى المؤمنين فى دولته نعمًا لم تعهد في القرون الخالية ، وجُدِّد الإسلام في أيامه تجديدًا بانت فضيلته على الدول الماضية ، وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدوق ، أفضل الأولين والآخرين ، الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رءوس المئين، والله تعالى يُوزِعُهُ

(١) من المطبوع .

(٢) ليست في الأصل ، وهي زيادة يقتضيها السياق .

والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين ، ويتمها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين.

وذلك : أن السلطان - أتم الله نعمته - حصل للأمة بيمن ولايته وحسن نيته، وصحة إسلامه وعقيدته ، وبركة إيمانه ومعرفته ، وفضل همته ، وشجاعته، وثمرة تعظيمه للدين وشرعته ، ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته، ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين ، وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين ؛ من جهاد أعداء الله المارقين من الدين ، وهم صنفان :

أهل الفجور والطغيان ، وذوو الغي والعدوان ، الخارجون عن شرائع الإيمان، طلبًا للعلو في الأرض والفساد ، وتركًا لسبيل الهدى والرشاد، وهؤلاء هم التتار ، ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام وإن تمسك بالشهادتين، أو ببعض سياسة [الأنام][1] .

والصنف [الباقي][1] أهل البدع المارقون ، وذوو الضلال المنافقون ، الخارجون عن السنة والجماعة ، المفارقون للشرعة والطاعة ، مثل هؤلاء الذين غزوا بأمر السلطان من أهل الجبل ، والجرد ، والكسروان . فإن ما مَنَّ الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام ، هو من عزائم الأمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام.

وذلك : أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين ، فإن اعتقادهم أن أبا بكر وعمر وعثمان ، وأهل بدر ، وبيعة الرضوان ، وجمهور المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان ، وأئمة الإسلام وعلمائهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ، ومشايخ الإسلام وعبَّادهم ، وملوك المسلمين

---

(١) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : الإسلام ، و«الصنف الثاني» بدلاً من «الباقي».

وأجنادهم، وعوام المسلمين وأفرادهم . كل هؤلاء عندهم كـفار مرتدون ، أَكفَرُ من اليهود والنصارى ، لأنهم مرتدون عندهم ، والمرتد شر من الكافر الأصلي ، ولهذا السبب يقدِّمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والإيمان .

ولهذا لما قدم التتار إلى البـلاد ، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد وأرسلوا إلى أهل قبـرص فملكوا بعض الساحل، وحملوا راية الصليب ، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يُحصي عدده إلا الله ، وأقام سوقهم بالسـاحل عشرين يومًا يبيعون فـيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص ، وفرحوا بمجيء التـتار ، هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون، مثل أهل جَزِّين ، وما حواليها ، وجبل [عاملة][1] ونواحيه .

ولما خرجت العساكر الإسلاميـة من الديار المصرية ، ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم ، ولما نصـر الله الإسلام النُّصرة العظمى عند قدوم السلطان ، كان بينهم شبيه بالعزاء .

كل هذا ، وأعظم منه ، عند هذه الطائفـة التي كانت من أعظم الأسـباب في خروج «جنكسخان» إلى بلاد الإسلام ، وفي استيلاء «هولاكو» على بغداد، وفي قدومه إلى حلب ، وفي نهب الصالحـية ، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله.

لأن عندهم أن كل من لم يوافـقهم عـلى ضلالهم فـهو كـافر مـرتد، ومن استحـل الفُقَّاع فهـو كافر، ومن مسح على الخـفين فهو عندهم كافـر، ومن حرم المتعة فهو عندهم كافـر، ومن أحب أبا بكر أو عمر أو عثمان، أو ترضى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر، ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر.

هذا المنتظر صـبي عـمره سنتـان أو ثلاث أو خـمس ، يزعمـون أنه دخل

(١) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : عامل .

السرداب «بسامرا» من أكثر من أربعمائة سنة ، وهو يعلم كل شيء ، وهو حجة الله على أهل الأرض ، فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر، وهو شيء لا حقيقة له، ولم يكن هذا في الوجود قط .

وعندهم من قال : إن الله يُرَى في الآخر فهو كافر ، ومن قال: إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر ، ومن قال: إن الله فوق السموات فهو كافر، ومن آمن بالقضاء والقدر وقال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وأن الله يقلب قلوب عباده ، وأن الله خالق كل شيء فهو عندهم كافر ، وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو عندهم كافر .

هذا هو المذهب الذي تلقنه لهم أئمتهم ، مثل «بني العود» ، فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل ، وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين ، ويفتونهم بهذه الأمور .

وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره ، وفيها هذا وأعظم منه ، وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم ، لكنهم مع هذا يظهرون التقية والنفاق ، ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم ، وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية ، فإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق، ويبذلونه من البرطيل[٢] لمن يقصدهم .

والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة ، ذكر «أهل أنجرة» أنهم لم يرو مثله ، ولهذا كثر فسادهم فقتلوا من النفوس وأخذوا من الأموال مالا يعلمه إلا الله.

ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم في أمر لا يضبط شره،

---

(١) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : ويتظاهرون .

(٢) الرشوة.

كل ليلة تنزل عليهم منهم طائفة ، ويفعلون من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد .

وكانوا في قطع الطرقات ، وإخافة سكان البيوت على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات، يرد إليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين ، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين ، فإما أن يقتلوه أو يسلبوه ، وقليل منهم من يفلت منهم بالحيلة .

فأعان الله ويسر بحسن نية السلطان وهمته ، في إقامة شرائع الإسلام ، وعنايته بجهاد المارقين أن غزوا غزوة شرعية ، كما أمر الله ورسوله ، بعد أن كشفت أحوالهم ، وأزيحت عللهم ، وأزيلت شبههم ، وبذل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به ، وبين لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في قتال الحرورية المارقين ، الذين تواتر عن النبي ﷺ الأمر بقتالهم ونعت حالهم ، من وجوه متعددة ؛ أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه : من حديث علي بن أبي طالب[١] وأبي سعيد الخدري[٢] ، وسهل بن حنيف[٣] ، وأبي ذر الغفاري[٤] ، ورافع بن عمرو[٥] ، وغيرهم[٦] من أصحاب النبي ﷺ .

(١) رواه البخاري برقم (٦٩٣٠-٣٦١١-٥٠٥٧)، ومسلم برقم (١٠٦٦)، عن علي بن أبي طالب.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٠٥٨ - ٣٦١٠ - ٦٩٣١ - ٦٩٣٣) ، ومسلم برقم (١٠٦٤-١٠٦٥) عن أبي سعيد الخدري .

(٣) رواه البخاري برقم (٦٩٣٤) ومسلم برقم (١٠٦٨) ، ، عن سهل بن حنيف .

(٤) رواه مسلم برقم (١٠٦٧) ، عن أبي ذر الغفاري .

(٥) رواه مسلم برقم (١٠٦٧) عن عبدالله بن الصامت ، عن أبي ذر، فقال ابن الصامت: فلقيت رافع بن عمرو الغفاري . . فذكره .

(٦) وفي الباب أيضًا عن جابر بن عبد الله ، رواه مسلم برقم (١٠٦٣) ، وعن عبد الله بن عمر رواه البخاري برقم (٦٩٣٢) ، وأيضًا عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ عند مسلم برقم (١٠٦٦/ ١٥٧) .

قال فيهم : «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ﷺ لاتكلوا عن العمل ، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان ، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، شر قتلى تحت أديم السماء ، خير قتلى من قتلوه» .

وأول ما خرج هؤلاء ، زمن أمير المؤمنين - رضي الله عنه - وكان لهم من الصلاة والصيام ، والقراءة ، والعبادة ، والزهادة ما لم يكن لعموم [ق/٥٥] الصحابة، لكن كانوا خارجين عن سنة / رسول الله ﷺ ، وعن جماعة المسلمين، وقتلوا من المسلمين رجلاً اسمه «عبدالله بن خباب» وأغاروا على دواب للمسلمين.

وهؤلاء القوم كانوا أقل صلاة وصيامًا ، ولم نجد في جبلهم مصحفًا ولا فيهم قارئًا للقرآن ، وإنما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة ، وأباحوا بها دماء المسلمين ، وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء وأخذوا من الأموال ما لا يُحصي عدده إلا الله تعالى .

فإذا كان علي بن أبي طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما في عسكر الخوارج ، مع أنه قتلهم جميعهم ، كان هؤلاء أحق بأخذ أموالهم ،وليس هؤلاء بمنزلة المتأولين الذين نادى فيهم علي بن أبي طالب يوم الجمل «أنه لا يقتل مدبرهم ، ولا يجهز على جريحهم ، ولا يغنم لهم مالاً ، ولا يسبى لهم ذرية» لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ ، وهؤلاء ليس لهم تأويل سائغ ، ومثل أولئك إنما [يكون خارجًا][1] عن طاعة الإمام، وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله

(١) في المطبوع : يكونون خارجين ، وهو الصواب .

ﷺ وسنته، وهم شر مـن التتار من وجوه متـعددة ؛ لكن التتر أكـثر وأقوى ، فلذلك يظهر كثرة شرهم .

وكثـير من فســاد التتر هو لمخـالطة هؤلاء لهم ، كما كـان فى زمن قازان وهولاكو ، وغيـرهما ، فإنهم أخذوا من أموال المسلمين أضعـاف ما أخذوا من أموالهم ، وأرضهم فَيْءٌ لبيت المال .

وقد قال كـثير من السلف : إن الرافـضة لا حق لهم من الفيء ، لأن الله إنما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١) .

فمن لم يكن قلبه سليمًا لهم ، ولسانه مستغفرًا لهم ، لم يكن من هؤلاء.

وقطعت أشـجارهم لأن النبي ﷺ لما حـاصـر بني النضيـر قطع أصحـابه نخلهم وحرقوه ، فقال اليهود : هذا فـساد ، وأنت يا محمد تنهي عن الفساد، فأنزل الله في القرآن :

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾(٢) .

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجـر ، وتخريب العامر ، عند الحاجة إليه، فليس ذلك بأولى من قتل النفوس وما أمكن غير ذلك .

فإن القوم لم يـحضروا كلهم من الأماكن التي اختـفوا فيهـا ، وأيسوا من المقام في الجبل إلا حين قطعت الأشجـار ، وإلا كانوا يختـفون حيث لا يمكن

---

(١) [سورة الحشر : ١٠]

(٢) [سورة الحشر : ٥].

العلم بهم ، وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم ، لأن التركمان إنما قصدهم الرعي، وقد صار لهم مرعى ، وسائر الفلاحين لا يتركوا عمارة أرضهم ويجيئون إليه.

فالحمد لله الذي يسر هذا الفتح في دولة السلطان بهمته وعزمه وأمره ، وإخلاء الجبل منهم وإخراجهم من ديارهم .

وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله :

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾[(١)] .

وأيضًا فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز، واليمن والعراق ، ما يرفع الله به درجات السلطان ، ويعز به أهل الإيمان .

فصل

تمام هذا الفتح وبركته تقدم مراسم السلطان بحسم مادة أهل الفساد ، وإقامة الشريعة في البلاد ، فإن هؤلاء القوم لهم من المشايخ والإخوان في قرى كثيرة من يقتدون بهم وينتصرون لهم ، وفي قلوبهم غل عظيم ، وإبطان معاداة شديدة، لا يؤمنون معها على ما يمكنهم ، ولو أنه مباطنة العدو ، فإذا أمسك رءوسهم الذين يضلونهم - مثل بني العود - زال بذلك من الشر ما لا يعلمه إلا الله .

(١) [سورة الحشر : ٢-٥] .

ويتقدم إلى قراهم وهى قرى متعددة بأعمال دمشق ، وصفد ، وطرابلس، وحماة ، وحمص ، وحلب بأن يقام فيهم شرائع الإسلام : الجمعة ، والجماعة، وقراءة القرآن ، ويكون لهم خطباء ومؤذنون ، كسائر قرى المسلمين، وتقرأ فيها الأحاديث النبوية ، وتنتشر فيهم المعالم الإسلامية ، ويُعاقب مَنْ عُرِفَ منه البدعة والنفاق بما توجبه شريعة الإسلام .

فإن هؤلاء المحاربين وأمثالهم قالوا: نحن قوم جبال ، وهؤلاء كانوا يعلموننا ويقولون لنا : أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين ، ومن قتل منكم فهو شهيد .

وفي هؤلاء خلق كثير لا يقرون بصلاة ، ولا صيام ، ولا حج ،ولا عمرة، ولا يحرمون الميتة ، والدم، ولحم الخنزير ، ولا يؤمنون بالجنة والنار، من جنس الإسماعيلية، والنصيرية والحاكمية ، والباطنية ، وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى بإجماع المسلمين .

فتقدم المراسيمُ السلطانية بإقامة شعائر الإسلام : من الجمعة ، والجماعة، وقراءة القرآن ، وتبليغ أحاديث النبي ﷺ في قرى هؤلاء من أعظم المصالح الإسلامية ، وأبلغ الجهاد في سبيل الله.

وذلك سبب لانقماع من يباطن العدو من هؤلاء ، ودخولهم في طاعة الله ورسوله، وطاعة أولي الأمر من المسلمين .

وهو من الأسباب التي يعين الله بها على قمع الأعداء .

فإن ما فعلوه بالمسلمين في أرض «سيس» نوع من غدرهم الذي به ينصر الله المسلمين عليهم ، وفي ذلك لله حكمة عظيمة ،ونصرة للإسلام جسيمة .

قال ابن عباس : **«ما نقض قوم العهد إلا أديل عليهم العدو»** .

ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الإيمان ، وللعدو من الخذلان ، ما ينصر الله به المؤمنين ، ويذل به الكفار والمنافقين .

والله هو المسئول أن يتم نعمته على سلطان الإسلام خاصة ، وعلى عباده المؤمنين عامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

عنوان الكتاب ظاهره

سلطان المسلمين ، ومن أيد [الله][1] في دولته الدين ، وقمع الكفار والمنافقين ، أيد الله به الإسلام ، ونشر عدله في الأنام .

[موقف من مواقف الشيخ في إبطال حيل أهل الطرق الدجالين][1]

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى من هذه السنة - سنة خمس [وسبعمائة][1] - اجتمع جماعة من الأحمدية الرفاعية عند نائب السلطنة بالقصر، وحضر الشيخ تقي الدين ، وطلبوا أن يسلم إليهم حالهم ، وأن الشيخ تقي الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم ، وأرادوا أن يظهروا شيئًا مما يفعلونه ، فانتدب لهم الشيخ ، وتكلم باتباع الشريعة ، وأنه لا يسع أحدًا الخروج عنها

(١) من المطبوع .